وقلة الموارد • ولكن حكامهم ، الذين كانوا ينتمون الى الطبقة الاقطاعيـــة ، استنبطوا حينئذ وسيلة بارعة وغريبة لحل مشكلة التضخم السكاني ، فراحـــوا يبيعون او يؤجرون ، علنا ورسميا ، العدد الفائض من مواطنيهم للحكومـــات الاوروبية التي كانت تستخدمهم كمرتزقة في جيوشها وتخوض ، بسيوفهـــم وارواحهم ، حروب التوسع والسيطرة ، ارضاء لنزوات ملوكها او تحقيقـــا لاطماعهم ، فكان ابناء المقاطعات السويسرية ، وجلهم من الفقراء المعدميـــن ، يموتون او يشوهون من اجل اهداف لا تعود على بلدهم باي نفع او خير • وفـي نهاية القرن الثامن عشركان هناك اكثر من سبعين الف سويسري مجنديـــن ، بشكل دائم ، في الجيوش الاوروبية •

ومما تقدم نستنتج ان تاريخ سويسرا لم يكن ، كما يتصور البعض ، ناصع البياض ، وان تطورها السياسي والاجتماعي لم يتم ، كما يزعم البعض ، بشكـل متزن وهادىء •

٢ ـ والمطلعون على الاوضاع العامة في سويسرا يعرفون ان الدستور ينص على وجوب احترام الحريات العامة ، وخصوصا حرية الرأي والتعبير ، ولكنهـم يعرفون كذلك ان ثمة فرقا او هوة بين النص المكتوب والممارسة الفعليـــة • ان معظم الدول التي تخضع لانظمة رأسمالية او اوليغارشية تحرص على تزييـــن دساتيرها باروع ما قيل عن تقديس الحريات العامة ،تاركة لرجالها مهمة التلاعب بهذه الحريات والتحايل عليها •

صحيح ان الحريات العامة في سويسرا مكفولة دستوريا • وصحيـــح ان المواطن يستطيع ، اذا شاء ، ان يعبر عن رأيه ومعتقده بمختلف السبل المتوافرة• وصحيح ان الحاكمين والمسؤولين يتعرضون ، من وقت لاخر ،لانتقادات واتهامات لاذعة فيتقبلونها برحابة صدر • ولكن كل ذلك يجري ضمن الخطط الذي تضعـه وتنظمه الاوليغارشية الحاكمة • ان حرية الرأي مصونة ، نظريا ، ولكنها فـي الواقع مقيدة • ان النظام القائم قد رسم لها حدودا معينة لا يجـــوز لهـــا أن تتجاوزها • وكل مخالفة للاسس والركائز التي يقوم عليها النظام توصف بانهـا هدامة وخطرة ، وتقمع فورا او بعد حين ، ويتعرض صاحبها لانواع شتى مـــن الضغط والوعيد والتهديد •

ان النائب في البرلمان السويسري يتمتع بالحصانة التي تخوله حق التعبير عن ارائه بحرية تامة وبمختلف الوسائل ، الا أن اقدامه على خـــرق حرمـــة « المقدسات » التي يفرضها النظام يعرضه لحملة فورية وواسعة النطاق من القمع او التهديد أو العزل الاجتماعي • فهو ، في البداية ، ينعت بانه غير رصين •ثم توصف آراؤه واقواله بالتطرف والتهور • وبعد ذلك يعمد اهل النظام الى شن